

الشيخ عز الدين بن عبد السلام من مشاهير عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب

أولاً: اسمه ونسبه:

هو عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن حسن بن محمد بن مهذب السلمى المغربى أصلاً، الدمشقى مولداً، ثم المصرى داراً ووفاء، والشافعى مذهباً⁽¹⁾، يكنى بأبى محمد، ولقب بعدة ألقاب، بعز الدين، وشاع بين الناس، الإمام العز، ولقب بسلطان العلماء، لقبه به تلميذه ابن دقيق العيد، كما لقب بشيخ الإسلام⁽²⁾. واتفق أنه ولد فى دمشق، واختلف فى تحديد سنة ولادته، فقيل بدمشق سنة (577هـ).

ثانياً: نشأته:

كان العز بن عبد السلام يعيش فى أسرة فقيرة مغمورة

(1) مقاصد الشريعة عند الإمام العز بن عبد السلام، ص: 41.

(2) العز بن عبد السلام، محمد الزحيلي، ص: 39.

لم يكن لها مجد أو سلطان أو منصب، أو علم، فقد ولد العز بن عبد السلام في دمشق الشام، وهي وقتئذ مركز هام للعلم والمعرفة وقبلة للعلماء والفقهاء، وخط مواجهة أمامي مع الصليبيين الغزاة الذين احتلوا مدناً وحصوناً عديدة في فلسطين وساحل بلاد الشام، كما كانت دمشق ممتلئة بنعم الله وخيراته الوفيرة من ماء عذب وزراعة وصناعة وتجارة درت عليها الرزق الواسع والخير الوفير، في هذه المدينة العريقة ولد العز بن عبد السلام ونشأ في ربوعها وتنسّم هواءها وترعرع في أجوائها، وقد انشغلت أسرته بطلب الرزق عن طلب العلم، إلا أن العز كان منذ نشأته الأولى عفيفاً شريفاً يملك نفساً أبيّة، إذ لم يعرف عنه أنه امتهن مهنة تزري بصاحبها، أو تحط من شأنه، وكان ﷺ شاباً متديناً، متعبداً رغم فقره، وكده على رزقه، ولا أدل على ذلك من مبيته في المسجد الليالي الطوال⁽¹⁾، ينتظر الصلاة كي لا تفوته الجماعة، أو يغيب عن الصلاة والعبادة فيه، وقد ذكر الحبكي (ت 771هـ) قوة إيمان هذا الشاب وشدة فقره وتدينه حيث قال: سمعت الشيخ الإمام يقول: كان الشيخ عز الدين في أول

(1) النجوم الزاهرة (7/ 209)، مرآة الجنان (4/ 158).

أمره فقيراً جداً، ولم يشتغل إلا على كبر، وسبب ذلك أنه كان يبيت في الكلاسة⁽¹⁾ من جامع دمشق، فبات بها ليلة ذات برد شديد فاحتلم فقام مسرعاً، ونزل في بركة الكلاسة فحصل له ألم شديد، وعاد فنام فاحتلم ثانياً، فعاد إلى البركة لأن أبواب الجامع مغلقة وهو لا يمكنه الخروج، فطلع فأغمي عليه من شدة البرد⁽²⁾... ثم سمع النداء في المرة الأخيرة: يا ابن عبد السلام: أتريد العلم أم العمل؟ فقال الشيخ عز الدين: العلم لأنه يهدي إلى العمل، فأصبح، وأخذ التنبيه فحفظه في مدة يسيرة، وأقبل على العلم فكان أعلم أهل زمانه ومن أعبد خلق الله⁽³⁾..

في هذه الرواية دلالة واضحة على تدين العز، وقوة إيمانه، ونشأته الصالحة التقية، حيث لا يحتمل مثل هذه المشاق إلا من عرف ربه، وسلك منهج الحق، وتعلق قلبه بالمساجد لا يخرج منها إلا ليعود إليها، فكان مثال الشاب الذي نشأ في طاعة الله، عازفاً عن طيش الشباب، وهوى النفس، فالشاب الذي يتحرج من الاستسلام إلى

(1) الكلاسة : زاوية في الجانب الشمالي من جامع دمشق.

(2) فتاوى شيخ الإسلام العز بن عبد السلام، ص: 66.

(3) طبقات الشافعية.

دفع الفراش جُنْباً في ليلة شديدة البرد، لا شك يعرف قيمة عمله، ويتحلى بوعي ديني كبير، وحس إيماني عميق يجعله يبادر إلى التطهر عقب اكتشاف الأثر دون تباطؤ أو كسل⁽¹⁾.

ثالثاً: شيوخه في طلب العلم:

انقطع سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام للعلم والتعلم بعد ما ناهز الاحتلام كما تدل على ذلك حادثة مبيته في الكلاسة من جامع دمشق، وشمر عن ساعد الجد وشحذ الهمة، فحفظ المتون، ودرس الكتب، وتردد على كبار الشيوخ في عصره ليعوض ما فاته في صغره، كما أن كبر سنه وذكاءه أعاناه على التفوق في تحصيل العلم وإدراك مسائله الغامضة وتحليل رموزه، والذي ساعده أيضاً على الاستزادة من العلم والمعرفة الجو العلمي الذي كانت تعيشه بلاد المشرق بصفة عامة ومدينة دمشق بصفة خاصة، حيث كانت موطناً لعدد كبير من فحول العلماء ومشاهيرهم فنهل منهم العلم والمعرفة، وتحلى بمكارم أخلاقهم، واقتدى بحسن سلوكهم حتى أصبح كما قال المبكي رحمته الله: أعلم أهل زمانه ومن أعبد خلق الله

(1) طبقات الشافعية..